فوق الحياة!!

الى القطعان الآدمية السائمة في الطين

إني احترقتُ ولم تدعْ أشلائي نيرانُ تلك الحسرة الهوجاء
قد أوغلتْ بي نزعةٌ مدفوعةٌ نحو الكمال ، تمدُّ في برحائي
إذ أن ما يسبي قلوبَ الناس لا ألقاه حتى في ذيول سمائي

***

أقبلتُ ملء دمي على الدنيا وفي قلبي حياةٌ جمة الأهواء
وطرحتُ أعوامي عليها شادياً متنقلاً في الروع والعمراء
ونزعتُ عني كلَّ معنىً كاذب ونشدتُ وجهَ النور في الظلماء
وتأملتْ روحي أساريرَ الدجى وتغلغلتْ في ذاته السوداء
واذا الرياح تقول لي في نسجها : «قفْ أيها الساري الى التيهاء !
مَنْ لم تشقْهُ الأرضُ وهو مكبَّلٌ نبذتهُ عنها عبرةَ الأحياء
تلك السدودُ أقامها فوق الثرى ربُّ الوجود وضاربُ الجوزاء»
قلتُ : «اهدئي يا ريح ما أنا مسرفٌ متطلبٌ في الصخر دفقةَ ماء!»
وطفقتُ أخبط في الظلام منقباً عما وراء الليل من أشياء
حتى بدا لي خلف أحجار الدجى نهرٌ يعجُّ بأعذب الأضواء
ونهلتُ منهُ فاكتملتُ كأنني أصبحتُ أسمى من بني حواء

وتألقت من حوله لي جنةٌ عربيةٌ مطلولةُ الأرجاء
هي عالمُ المثل الرفيعة صاغها «فوق الحياة» تدفقُ الإيحاء
أظلالها فوق الربوع مديدةٌ ونسيمها متعطرُ الأحناء
وطيورُها ذهبيةٌ مسحورةٌ تشدو فيهزُّ الفضاء إزائي

***

وأخذتُ أرشدُ من أحب الى السنى ومآبه ، والنهلة البيضاء
والحق ، والنور الذي يمشي على ربوات تلك الجنة العذراء
لكنهم ضجت بهم أرواحهم ظمأى الى الأوحال والأنواء!
عادوا . . وفي ألبابهم لي لعنةٌ مكنونةٌ كالسمّ في الرقطاء
قالوا : « لقد عشنا على الدنيا كما شئنا وشاءت ربقةُ الأحياء
مستعذبين قيودنا لا تنحلي عنا كمايةُ هذه الظلماء
تلك الحواجزُ لا نحبُّ عبورَها نحو الذي نخشاه من أجواء
يا أيها المجنونُ ! إنك شاعرٌ يقتات من أوهامه الحسناء
إذهب! فلا كانت لك الدنيا وعش في برجك العلوي بالخيلاء »
لكنني نادیتُ من عنيائي مستعصماً بالذروة القعساء :
«البرق يكسبني التماعاً ، إنني أفقٌ . . فضجوا في رحاب فضائي!
والنارُ تمنحني حياةً ، إنني ذهبٌ . . فبثوا النار في أحشائي!»

عبد الرحمن الخميسي